حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

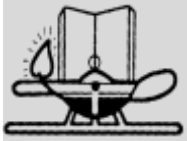

التجسيد الفني لواقع المجتمع في بلاد الرافدين

فائز هادي علي*
عادل شاكر وهام**

قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة بغداد
dr.faaz16@gmail.com
adil1968@coart.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

طبيعة (المجتمع، المجتمعات) التي عاشت في بلاد الرافدين وعلى الرغم من وجود صفات وعوامل وروابط كثيرة مشتركة بينها إلا أن ثمة مميزات وخصائص مهمة ميزت كل مجتمع عن المجتمعات الأخرى (السابقة واللاحقة) وكانت خصائص كل مجتمع تظهر في نتاجاته الحضارية في مختلف جوانب الحياة اليومية ومنها الجانب الفني سواءً الفن المطلق أو فن العمارة بوصفه يمثل منعطفاً فنياً خاصاً له قواعده وخصائصه ومميزاته ما يجعله يختلف عن سائر الفنون الأخرى من حيث ماهيته وكيفية دراسته، وعلى أية حال فأن تلك المجتمعات القديمة التي سكنت في بلاد الرافدين اتخذت من الفن وسيلة لغايات مختلفة مثل تصوير بعض الظواهر الإجتماعية وتجسيد بعض الظواهر الإقتصادية وتمجيد الآلهة وتعظيمهم وتخليد أعمال الملوك وتصوير المعارك والحروب واتخاذ الفن كوسيلة إعلامية للدولة، فضلاً عن تجسيد جوانب أخرى من الحياة اليومية، من هنا تبدو وتتضح إشكالية العلاقة بين الفن والمجتمع على اعتبار أن الإنسان اتخذ من الفن وسيلة لتوظيف وتجسيد تلك الفعاليات.

وجاء بحثنا الموسوم بـ(التجسيد الفني لواقع المجتمع في بلاد الرافدين) لتسليط الضوء على تلك التأثيرات، إذ تضمن البحث أيضاً مجموعة من الصور لتعزيز تلك التأثيرات، فضلاً عن أهم الإستنتاجات التي توصل إليها الباحثان لمادة البحث المقدم.

الكلمات المفتاحية: بلاد الرافدين، المجتمعات القديمة، الفن، التجسيد.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

Introduction:

عند البحث في واقع المجتمعات القديمة في بلاد الرافدين، فاننا نجد تأثيرات ذلك الواقع تجسدت في فنونه القديمة المختلفة، لذا تناول بحثنا الموسوم بـــ: **(التجسيد الفني لواقع المجتمع في بلاد الرافدين)** تلك التأثيرات وكانت على النحو الآتي:

أولاً: تجسيد الواقع الإجتماعي في الفن.

ثانياً: تجسيد الواقع الإقتصادي في الفن.

ثالثاً: تجسيد الواقع الفني الديني في الفن.

رابعاً: تجسيد الواقع السياسي في الفن.

خامساً: التجسيد الفني لجوانب أخرى من الحياة اليومية.

من هنا تبدو وتتضح إشكالية العلاقة بين الفن والمجتمع على اعتبار أن الإنسان اتخذ من الفن وسيلة لتوظيف وتجسيد تلك الفعاليات وهي على النحو الآتي:

ارتبط الإنسان في المجتمعات القديمة مع نشاط وعمل أفراد المجموعة التي ينتمي اليها وهذا الأمر كان من سمات الإنسان الذي عاش في بلاد الرافدين منذ باكورة تاريخه ومع التطور اللاحق الذي طرأ على الكيان الإجتماعي لأفراد الجماعات القديمة [١]، وأن الحديث عن المجتمع والحياة الإجتماعية في حضارة بلاد الرافدين في أي عصر من العصور من أمتع الأحاديث وأكثرها إلتصاقاً بالنفس طالما أنه حديث يعنى بالمجتمع وما يتعلق بحياة الأفراد والجماعات وبعلاقاتهم بعضهم البعض [٢].

أدى انتقال الإنسان العراقي القديم من المناطق الجبلية الى المناطق السهلية القريبة من الوديان والأنهار واستيطانه للجزء الجنوبي من بلاد الرافدين وتشيد مستوطنات له على ضفاف نهري دجلة والفرات [٣]، وما لبثت تلك المستوطنات الصغيرة أن نمت واتسعت وزاد عدد سكانها فأصبحت قرىً صغيرة وبعد سلسلة من التطورات البشرية والإجتماعية والتقنية التي أدت الى ظهور المدينة العراقية القديمة والتي لا فرق بينها وبين القرية كونهما الإثنان يستقر بهما الإنسان بشكل دائمي ويزاول فيها نشاطاته الإقتصادية والإجتماعية [٤] والتي تطورت في الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد لتصبح مدناً كبيرة ومراكز حضارية مهمة انبعثت منها أهم المقومات الحضارية التي قامت عليها حضارة بلاد الرافدين الناضجة في الألف الثالث والثاني والأول قبل الميلاد [٥]، أصبح الإنسان في بلاد الرافدين أكثر استقراراً ولديه الوقت الكافي للتفكير والإبداع لتحسين أمور حياته اليومية الأخرى.

تعد الفنون واحدة من أهم ما جسده الفنان الرافديني في نقل واقع المجتمع العراقي القديم فنراه صور لنا دورة المرأة (كأم) لما تتمتع به من مكانة مرموقة في نظام العائلة العراقية القديمة فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الأب وهي المسؤولة عن إدارة شؤون بيتها [٦] وتقوم بالوظائف الرئيسة المتمثلة بالشؤون الأجتماعية فضلاً عن الوظائف الإقتصادية فهي شريكة الرجل في العمل من خلال توفير المأكل والمشرب والملبس والمسكن لأفراد الأسرة [٧] ولاننسى دورها الأبرز في إنجاب الأولاد [٨] وتربيتهم [٩]، وهي بهذا الدور تجسد المحافظة على استمرارية الحياة الأجتماعية وديمومتها [١٠]، ولم يكن الفنان الرافديني بمنأى عن ذلك التأثير والدور الذي اضطلعت به المرأة عبر العصور في بلاد الرافدين فنراه نفذ أروع النماذج الفنية ذات المواضيع والمضامين الإجتماعية المختلفة وبإسلوب تعددت طرقه، ومن أبرز تلك النماذج الفنية المنفذة والتي جسد فيها الفنان الرافديني الواقع الإجتماعي هي:

منحوته فخارية بارزة لأم تحمل طفلها: (الشكل: ١)

تم العثور في موقع إيسن (إيشان بحريات) [١١] على منحوتة [١٢] تعود الى العصر البابلي القديم (٢٠٠٤ – ١٥٩٥ ق.م) [١٣]، وهي مستطيلة الشكل ذات قمة محدبة أبعادها (٩سم × ٥.٥سم) [١٤].

(الشكل: ١) عن المصدر:

Hrouda, B. Der Alte Orient, (Germany, 1991), P.224.

موضوع اللوح الفخاري نفذ بأسلوب واقعي جسد فيه الفنان البابلي صورة الأم والطفل بشكل طبيعي ونراه مثّل الأم وهي جالسة على كرسي تمسك بيديها طفلها العاري وهو يرضع من صدر أمه ونراها قد وضعت يدها اليمنى على ركبة طفلها في حين أن يدها اليسرى مثنية وتمسك بها الفخذ الأيسر لطفلها، وصورها وهي ترتدي ثوباً طويلاً تزينه من منطقة الصدر أشرطة عريضة متقاطعة مزينة بخطوط عمودية وأفقية، وقد نرى الواقعية التعبيرية واضحة في العمل الفني من خلال أحتضان الأم لطفلها وهو في حالة الرضاعة.

نرى التأثيرات في تجسيد الفنان الرافديني ونقله للواقع الإجتماعي واضحة من خلال واقع المرأة (كأم) وحملها لطفلها بحنان وكذلك من خلال وضع يدها اليمنى لتمسك به صدرها لتسهيل عملية إرضاع طفلها، وهذه دلالة وقيمة تعبيرية كبيرة وترجمة للواقع المعاش لتحاكي الحدث الطبيعي وبمظهر عفوي صادق بعيد عن التعقيد الذي خلق نوع من التفاعل النفسي والروحي بين الأم وطفلها في نوعية الحركة التي تجمعهما، وهذا من شأنه أن يوجد روحية خاصة من العاطفة تتفق مع الطموح العام والحاجة والرغبة الملحة التي تميز مضامين هذه العاطفة في الفكر الحضاري في بلاد الرافدين [١٥]، وقد أبدع الفنان الرافديني أيما إبداع في تشكيله لهذه النماذج وأكسبها أبداعاً كبيراً من خلال استعارته لأحدى الموضوعات المألوفة والتي جسدها بهيئة أم ترضع طفلها [١٦].

إن من أهم مقومات حضارة بلاد الرافدين هو الإقتصاد [١٧] وأن المتتبع للإقتصاد في بلاد الرافدين يراه قد تطور عبر مراحل عدة وقد سار جنباً الى جنب مع تقدم الأستقرار السكاني [١٨]، ولأن من البديهي أن أي نوع من أنواع النشاط الحضاري لا بد من أن يدعمه ويسنده نشاط إقتصادي ورخاء عام يوفر المواد الخام الضرورية للبناء والنحت والصناعات الدقيقة وأيادي فنية عاملة تنتج الحاجيات الضرورية ونظم إقتصادية تنظم عمليات البيع والشراء وغيرها من المعاملات ومستوى معاشي مرتفع يمكن للفرد من اقتناء ما يحتاجه [١٩]، وأن أركان الإقتصاد في بلاد الرافدين قائمة على الزراعة والصناعة والتجارة.

اشتهرت بلاد الرافدين في عصوره كافة بالزراعة [٢٠] وكانت المصدر الأساس لإقتصاد البلاد [٢١] وكذلك الصناعة التي تعد من دعائم الإقتصاد التي قامت عليها الحياة الإقتصادية بعد الزراعة والتجارة وأنها إحدى الظواهر البارزة لجهود الإنسان التي خدمت تطوره ورقيه عبر العصور وهي دليل قائم ومستمر على قدرات الإنسان العراقي القديم الفكرية والإبداعية التي لا تنضب [٢٢] فقد نراه قد تعامل مع مادتين رئيستين في الصناعة هما الطين الذي شكل منه مختلف الأدوات والمواد الداخلة في فروع الزراعة والصناعة والفنون والعمارة، وهنا نقدم نموذج من أهم تلك النماذج الفنية التي جسد فيها الفنان الرافديني للواقع الإقتصادي هي:

مشهد صناعة الألبان من عصر فجر السلالات: الشكل (٢)

واحدة من أهم تلك المشاهد هي واجهة معبد ننخرساك في العبيد [٢٣] والتي تعود الى عصر فجر السلالات ما يقارب (٢٤٧٥ ق.م) [٢٤] وهي عبارة عن افريز من حجر الكلس وصفائح النحاس [٢٥] يبلغ ارتفاعها ما يقارب (٢٢سم) [٢٦] وهي محفوظة في المتحف العراقي [٢٧].

(الشكل: ٢) عن المصدر:

Aruz, J. & Wallenfels, R. Art of the First Cities the Third Millennium B. C. from he Mediterranean to the Indus, (New Haven, 2003), p.28.

نفذ الفنان السومري بأسلوب واقعي واحدة من ثلاثة واجهات كانت تزين الجدران الداخلية لمعبد الإله ننخرساك [٢٨] في تل العبيد [٢٩] القريب من أور[٣٠] جسد فيه واقعاً اقتصادياً من خلال مشهد لصناعة الألبان واستخلاص السمنة [٣١]، إذ نفذ الأشخاص والحيوانات من حجر الكلس الأبيض على أرضية من الحجر الجيري الأسود [٣٢] من الأصداف البيضاء والوردية على خلفية سوداء [٣٣] مثبة بمادة القير [٣٤]، تميزت بتكويناتها الإيقاعية المتنافرة وخاصة الشخصيات المركزية للتكوين [٣٥]، نرى وسط المشهد مدخل حضيرة الأبقار [٣٦] تخرج منها بقرتين في نرى على يمين المشهد المنفذ بقرتين كبيرتين يقدمها بقرتان صغيرتان يجلس خلف كل من البقرتين الكبيرتين شخص يجلس جلسة القرفصاء ليقوم بحلب تلك الأبقار [٣٧]، ونرى حليب يسكب من قبل رجل واقف يمسك بيده ما يشبه القربة من خلال مصب كبير يمسك به رجل جالس على تخت ليصل الى جرة تستقر على الأرض [٣٨]، مع وجود شخص آخر واقف على يمينه وأمامه جرة كبيرة جداً يحركها ذات اليمين وذات الشمال على ما يبدو أنه يخض الحليب فيها لتنتج الزبدة، والى يساره شخص آخر أمامه جرة كبيرة أيضا لتحفظ على ما يبدو ما تبقى من الحليب بعد جمع الزبدة منه [٣٩].

تعد الصناعات الغذائية حالة حضارية متقدمة عند الإنسان العراقي القديم وهي من مبتكراته وكان أهمها هي صناعة الألبان [٤٠]، والتي جسدها الفنان السومري في هذا المشهد الذي كشف فيه جمال فنه وجسد فيه واقعاً اقتصادياً عرف من خلالها بمشهد صناعة الألبان [٤١]، فهو بذلك صور لنا جانباً من الحياة اليومية [٤٢] من عصر فجر السلالات [٤٣].

الكائنات المركبة هي كائنات أسطورية لا وجود لها في الطبيعة وسميت بالمركبة لأنها تتكون من جزأين أو أكثر تؤدي وظيفة معينة ولها مضمون ديني أو سياسي أو كلاهما معاً، وقد عرفت هذه الكائنات عند سكان بلاد الرافدين وهي كما قلنا افتراضية الوجود أي أن الإنسان العراقي القديم افترض وجودها بل هو يعتقد ويؤمن بوجودها ضناً منه أنها تعمل على طرد الأرواح الشريرة من المدن والأبنية التي توجد فيها أو في مداخلها سواء كانت معابد أو قصور أو غيرها، وقد ظهرت هذه الفكرة منذ العصر السومري القديم واستمرت حتى نهاية العصر البابلي الحديث مع الأخذ بنظر الإعتبار تغير بعض الأشكال إلا أنها تحمل المضمون نفسه، ولدينا أمثلة كثيرة في هذا الموضوع نتطرق إلى واحدٍ منها والذي يعود إلى المدة الزمنية الى العصر السومري الحديث (عصر أور III) ما يقارب (٢٠٩٧-١٩٨٩ ق.م) [٤٤] وكما يلي:

تمثال ثور برأس إنسان: (الشكل: ٣)

نوع العمل الفني هو نحت مجسم (ثلاثي الأبعاد) عثر عليه في مدينة لكش[٤٥] مصنوع من حجر الستيتايت يبلغ طوله (١٩سم) وارتفاعه (١٢سم) [٤٦]، وهو محفوظ حالياً في متحف اللوفر في باريس [٤٧]، التمثال هو عبارة عن كائن مركب يتكون من جسم الثور ورأس إنسان يعلوه التاج المقرن الذي هو رمز الإلوهية في بلاد الرافدين فضلاً عن ذلك فان جسد التمثال كان يحتوي على بعض الحفر الصغيرة مما يدل على أنه كان مرصعاً بالمعادن النفيسة والأحجار الكريمة التي تؤدي وضيفتين أولها مادية لتعطي للتمثال قيمة أكبر وثانيهما فكرية عقائدية مفادها أن تلك المعادن النفيسة والأحجار الكريمة كانت تستعمل لأغراض التطهير فضلاً عن كونها تؤدي وظيفة سحرية طقوسية، وإذا ما أردنا التمعن في أجزاء هذا الكائن المركب نجدها تحمل مدلولات ومفاهيم مستمدة من الواقع فجسم الثور يدل على القوة والفحولة على اعتبار انه من الحيوانات التي تتميز بالقوة والضخامة، أما رأس الإنسان فهو مصدر الحكمة والمعرفة لوجود العقل البشري، في حين يضفي التاج المقرن صفة القدسية على التمثال ليؤدي وظيفته بشكل متكامل، أن هذا التمثال

كان يوضع في بوابة المدينة وكذلك في مداخل أبنيتها الرئيسة سيما المعابد والقصور والغاية منه هي طرد الأرواح الشريرة ومنع دخولها وتدنيسها لأرض المدينة بشكل عام والمعبد بشكل خاص بوصفه بيت الإله ومكان العبادة والمكان المقدس. هنا نجد تأثير الفكر الديني واضحاً في هذا العمل الفني فالتمثال ما هو إلا تجسيداً فنياً للواقع الديني الذي يعشه سكان تلك المدينة في ذلك العصر إذاً هنا يصبح الفن وسيلة لتوظيف فكرة طقوسية عقائدية مستمدة من الفكر الديني السائد في ذلك المجتمع. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوظيفة الدينية التي يؤديها هذا الكائن المركب هي الوظيفة ذاتها التي تؤديها الثيران المجنحة الآشورية وكذلك الأسود البابلية مع الأخذ بنظر الاعتبار وجود بعض الاختلافات البسيطة إلا أن الفكرة والمضمون واحد وجميعها تعد تجسيداً فنياً للواقع الديني لتلك المجتمعات التي عاشت في بلاد الرافدين [٤٨].

(الشكل: ٣) عن المصدر:

Evans، J.M. "The Approaching the Divine Mesopotamian Art AT the end of the Third Millenniun B.C" Art of the First Cites, (London,2003), P.440 Fig:313.

لعب الفن دوراً هاماً في تجسيد الكثير من الأحداث السياسية وبشكل خاص فيما يتعلق بتنصيب الملوك وأبرز الأمثلة نجدها في:

١. تنصيب الملك حمورابي[٤٩]: (الشكل: ٤، أ، ب)

جاء هذا المشهد الفني في أحد أوجه مسلة [٥٠] حمورابي التي عثر عليها في مدينة سوسة [٥١]، وهي مصنوعة من حجر الستيتايت الأسود المخضر اللون [٥٢]، وقد نفذت بالنحت البارز من وجهين يتضمن الوجه الأول المواد القانونية التي شرعها الملك حمورابي والتي يبلغ عددها (٢٨٢) مادة قانونية [٥٣] تناولت مختلف جوانب الحياة اليومية، أما الوجه الآخر فقد نفذ عليه مشهد يجسد تنصيب الملك الذي يظهر واقفا أمام الإله شمش اله الحق والعدالة ليسلمه شارات الحكم والسلطة المتمثلة بالحلقة والصولجان ويفوضه في حكم البلاد ونشر العدالة فيها، إن هذه اللوحة الفنية جسدت لنا بكل وضوح الواقع السياسي وكيفية استلام السلطة بتفويض أو تكليف من الإله المختص وبذلك تكون سلطة الملك شرعية كونها مستمدة من الإله.

(الشكل: ٤، ب)

(الشكل: ٤، أ)

(الشكل: ٤، أ) عن المصدر:

Frankfort, H. The Art And Architecture of The Ancient Orient, (London, 1958،) Fig:65.

(الشكل: ٤، ب) عن المصدر:

Strommenger, E. The Art of Mesopotamia, (London,1964), Fig:158.

٢. تنصيب الملك زمري لم [٥٤]: (الشكل: ٥)

واحدة من أهم اللوحات الفنية التي تعود للعصر البابلي القديم وهي عبارة عن رسم جداري يتضمن نفس الفكرة ألا وهي تنصيب الملك زمري لم إلا أن الفرق هو نوع العمل الفني فهنا نجد جدران القاعة المركزية في قصر الملك زمري لم في مدينة ماري قد رسم عليه مشهد تنصيب الملك وتسليمه شارات الحكم والسلطة (الحلقة والصولجان) من قبل الإلهة عشتار [٥٥]، وقد استعملت عدة ألوان في تنفيذ هذا العمل الفني منها (الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأزرق... الخ) وهي من مميزات الفن المعماري في بلاد الرافدين بشكل عام وفي العصر البابلي القديم بشكل خاص.

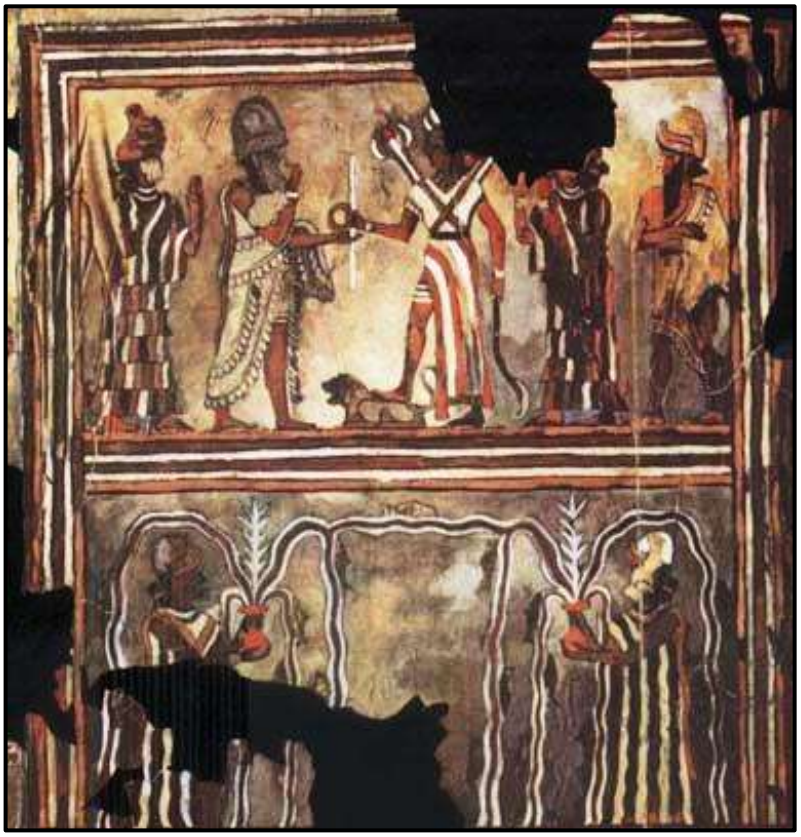

(الشكل: ٥) عن المصدر:
صاحب. زهير، الفنون البابلية ، ط١، (بغداد، ٢٠١١)، ص١٣٣، الشكل: ٢٩.

لم يقتصر التجسيد الفني على الجوانب الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والدينية بل شمل أيضاً جوانب أخرى من الحياة اليومية ومنها:

١. موضوع الصيد: (الشكل: ٦)

اعتاد ملوك بلاد الرافدين على القيام برحلات للصيد والنزهة في وقت فراغهم وقد صوروا تلك الفعاليات في أعمال ولوحات فنية تجسد علاقة الفن بالمجتمع حتى في الجوانب الإعتيادية بعيداً عن الجوانب الأساسية التي تطرقنا لها مسبقاً، ومن الأمثلة الفنية التي تجسد فعاليات الصيد والنزهة عند الملوك هو لوح جداري [٥٦] يعود للعصر الآشوري الحديث نفذ بالنحت البارز[٥٧].

يظهر فيه الملك الآشوري آشوربانيبال وهو في عربة الصيد التي تجرها الخيول ويمسك بيده القوس والسهم ويسدد سهامه نحو أسد يهاجمه [٥٨].

(الشكل: ٦) عن المصدر:
Strommenger, E. The Art of Mesopotamia…, P.42 Fig:202.

٢. الاحتفالات وإقامة الولائم: (الشكل: ٧)

الجوانب الأخرى التي جسدت أحداثها من خلال الفن هي الإحتفالات والولائم التي كانت تقام بمناسبات معينة كأن تكون بمناسبة الإنتصار في معركة أو في عيد من الأعياد كعيد رأس السنة أو ما شابه ذلك وقد جسدت تلك الإحتفالات في مشاهد فنية رائعة ومن أبرز الأمثلة على ذلك نموذج فني يوضح الإحتفال وإقامة وليمة بمناسبة الإنتصار على الأعداء.

نفذ العمل الفني على منحوتة جدارية من حجر الألبستر يبلغ ارتفاعها (٢,٢٩سم) وجدت في القصر الشمالي الغربي في مدينة نمرود(كالح) [٥٩]، وهي محفوظة حالياً في المتحف البريطاني في لندن [٦٠]، يظهر فيها الملك آشور ناصر بال الثاني جالساً على كرسي العرش ماسكاً بيده قدح الشراب بمناسبة الإنتصار كما يظهر في هذه اللوحة الفنية مجموعة من الخدم وحاشية الملك ويشارك الاحتفال أيضاً الملاك الآشوري[٦١] الذي يحمل بيده اليمنى كوز الصنوبر وباليد اليسرى سطل التطهير الذي يحوي على السائل المقدس [٦٢].

(الشكل: ٧) عن المصدر:

Strommenger, E. The Art of Mesopotamia, (London,1964), P.42 Fig:194.

Conclusions

يتضح مما سبق أن ثمة علاقة تربط الفن والمجتمع قديماً وحديثاً، وبقدر ما يتعلق الأمر بالمجتمع العراقي القديم فان تلك العلاقة لم تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة اليومية بل تكاد تكون شملت جميع جوانب الحياة اليومية إذ اتخذ الإنسان العراقي القديم من الفن وسيلة جسد من خلالها أفكاره وفعالياته المختلفة على مر العصور، ومن خلال ذلك توصل الباحثان الى مجموعة من الاستنتاجات نعرضها على التوالي:

١. جسد الفنان العراقي القديم واقع المجتمع من كافة جوانبه (الإجتماعية والأقتصادية والدينية والسياسية وغيرها)

٢. تعامل الفنان العراقي القديم مع المواد الأولية المتوفرة في بيئته لتنفيذ أعماله الفنية حسب نوع العمل الفني ومضمونه وتأثيره ومدى مقاومته لعوامل الزمن.

٢. اعتمد الفنان العراقي القديم في نماذج مادة البحث المقدم (الأسلوب الواقعي والرمزي) في تنفيذ أعماله الفنية.

٣. برزت مكانة المرأة في تجسيد الجانب الإجتماعي من خلال كثرة الأعمال الفنية المنفذة بوصفها تمثل عنصر الخصب والتكاثر في بلاد الرافدين.

٤. بعض الأعمال الفنية كانت تعبر عن سياسة الدولة وقوتها تجاه الشعوب الأخرى ولعل خير دليل على ذلك هو المشاهد الفنية التي كانت تزين أسوار المدن وبواباتها بوصفهما (السور والبوابة) يمثلان مظهراً من المظاهر الخارجية للمدينة.

٥. إن الملوك العراقيون القدماء اتخذوا من الفن وسيلة إعلامية لتخليد ونشر أعمالهم ومنجزاتهم في مختلف المجالات ونجد ذلك واضحا في أعمالهم الفنية والعمارية التي خلدت ذكراهم سيما المسلات والألواح الجدارية.

٦. استخدمت الألوان الطبيعة في بعض الأعمال الفنية بما يتناسب وطبيعة العمل الفني ومضمونه ومن أبرز الأمثلة على ذلك مشهد الرسوم الجدارية المتضمنة تنصيب الملك زمري ليم في مدينة ماري.

Abstract

The Artistic Embodiment of Community Reality in Mesopotamia

BY Faez Hadi Ali

And Adil Shakir Waham

We The nature of community/communities that inhabited ancient Mesopotamia, although there are many attributes, factors and links shared among them, still there are some distinctive features and characteristics that distinguished each society from other societies (previous and recent ones). The characteristics of each society were manifested in its cultural productions in all aspects of everyday life, including the artistic side, whether absolute art or architecture as being a unique technical turning point which has its rules, characteristics and features which makes it different from other arts in terms of what it is and how to study it. However, those ancient societies that lived in Mesopotamia took from art a means for various purposes such as glorification of the gods and their magnificence, the immortalization of the deeds of kings, the portrayal of battles and wars, and the using art as tool for propaganda and media for the State, as well as portrayal of some social phenomena, incarnation of some economic matters, and everyday life issues. Hence, the controversial relation between art and society since Man has long taken art as a means to embody and represent these activities.

Key Words:

Mesopotamia, Ancient Communities، Art، Embodiment

الهوامش

١ للمزيد ينظر: علي، عادل هاشم. البنية الإجتماعية في العراق القديم من عصر فجر السلالات وحتى نهاية العصر البابلي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٦)، ص٧١-٧٤.

٢ للمزيد ينظر: الدباغ، تقي. " من القرية الى المدينة "، المدينة والحياة المدنية، ج١، (بغداد، ١٩٨٨)، صص١٨٠ - ١٨١.

٣ علي، فاضل عبد الواحد، وسليمان، عامر. عادات وتقاليد الشعوب القديمة، (بغداد، ١٩٧٩)، ص٥٧.

٤ الدباغ، تقي. " من القرية الى المدينة "...، ص٣٣.

٥ المصدر نفسه، ص٥٧.

٦ عقراوي، ثلما ستيان. المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، (بغداد، ١٩٧٨)، ص١٧.

7 Gadd, K. M. From Ur to Rome, (London, 1958), P:25.

٨ حمود، حسين ظاهر. مكانة الأولاد في المجتمع العراقي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩١)، ص١٠.

٩ سرتي، محمد إبراهيم. الأنثى المقدسة وصراع الحضارات - المرأة والتاريخ منذ البدايات، ط١، (دمشق، ٢٠٠٨)، ص٦.

١٠ عقراوي، ثلما ستيان. المرأة دورها ومكانتها في...، ص١٧.

١١ **إيشان بحريات:** من المواقع القائمة على رابية وعلى مسافة ثمانية عشر ميلاً جنوبي نفر لا يعرف شئ عن تأريخها قبل سلالة أور الثالثة وقد حلت محل أور عندما غزاها العيلاميون سنة (٢٣٠١ ق.م) وعاشت سلالة ملوك إيسن حياة كلها وقائع مختلفة حتى أبادها العيلاميون من سلالة لارسا التي كانت تنافس إيسن ثم صارت المدينتان بعدئذ من المدن التي خضعت لدولة بابل الأولى. للمزيد ينظر: مكاي، دروثي. مدن العراق القديمة، ترجمة: يوسف يعقوب سكوني، (بغداد، ١٩٩٢)، ص٥٩-٦٠.

12 Hrouda, B. Der Alte Orient, (Germany, 1991), P.224.

13 Ibid, P.224.

14 Ayoub, S. & Others. Isin – Išan Bahriyat I Die Ergebnisse Der Ausgrabungen 1973-1974, (München, 1977), P.49, Taf.24, Abb:314.

١٥ صاحب، زهير. فخاريات بلاد الرافدين – عصور قبل التاريخ، ط١، (بغداد، ٢٠١٠)، ص٢٦٠، الشكل: ١٥٣.

١٦ المصدر نفسه، ص٢٦٠، الشكل: ١٥٣.

١٧ علي، فاضل عبد الواحد، و سليمان، عامر. عادات وتقاليد الشعوب...، ص٩١.

١٨ تيومينيف. " إقتصاد الدولة في سومر القديمة " العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الإقتصادية والإجتماعية، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٦)، ص٩٩.

١٩ علي، فاضل عبد الواحد، و سليمان، عامر. عادات وتقاليد الشعوب...، ص٩٠.

٢٠ العاني، عماد طارق توفيق. المستجدات السكانية والسياسية والحضارية لعصر ما بعد أور الثالثة (العصر البابلي القديم)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٧)، ص٢٧١.

٢١ المتولي، نوالة أحمد محمود. مدخل في دراسة الحياة الإقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)، (بغداد، ٢٠٠٧)، ص١٧٧.

٢٢ الشيخ، عادل عبدالله. بدء الزراعة وأولى القرى الزراعية في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٨٥)، ص١٥٢.

٢٣ تي بوتس، دانيال. حضارة العراق الأسس المادية، ترجمة: كاظم سعد الدين، مراجعة: إسماعيل حسين حجارة، (بغداد، ٢٠٠٦)، ص٢١٩، الشكل: ٦: ٥.

٢٤ سوسة، أحمد. تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ج١، (بغداد، ب.ت)، ص٤٣، الشكل: ١١.

٢٥ مورتكات، انطوان. الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٧٥)، ص١٥١، اللوح ١٢٢.

٢٦ بوستغيت، نيكولاس. حضارة العراق وآثاره، ترجمة: سمير عبدالرحيم الجلبي، (بغداد،١٩٩٢)، ص٤٨، الشكل: ٤٩.

٢٧ البياتي، عبدالحميد فاضل. تاريخ الفن العراقي القديم، (بابل، ٢٠٠٩)، ص٩٥، الشكل: ٦١.

٢٨ أحمد، سهيلة مجيد. الصناعات الغذائية في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٢)، ص٥١، الشكل: ١٢. وكذلك ينظر: صاحب، زهير، ونفل، حميد. تاريخ الفن في بلاد الرافدين، (بغداد، ب.ت)، ص٦٧، الشكل: ٦.

٢٩ البياتي، عبدالحميد فاضل. تاريخ الفن العراقي القديم...، ص٩٥، الشكل: ٦١.

٣٠ بصمه جي، فرج. كنوز المتحف العراقي، (بغداد، مؤسسة الآثار والتراث، ١٩٧٢)، ص١٦٢، الشكل: ٦١.

٣١ سوسة، أحمد. تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية...، ص٤٣، الشكل:١١.

٣٢ المصدر نفسه، ص٤٣، الشكل:١١.

٣٣ البياتي، عبدالحميد فاضل. تاريخ الفن العراقي القديم...، ص٩٥، الشكل: ٦١.

٣٤ بارو، اندريه. بلاد آشور نينوى وبابل، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان، سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٠)، ص٢٤٠، الشكل: ٢٧٧. وكذلك ينظر: بصمه جي، فرج. كنوز المتحف العراقي...، ص١٦٢، الشكل: ٦١.

٣٥ البياتي، عبدالحميد فاضل. تاريخ الفن العراقي القديم...، ص٩٥، الشكل: ٦١.

٣٦ مورتكات، انطوان. الفن في العراق القديم...، ص١٥٠، اللوح ١٢٢.

٣٧ أحمد، سهيلة مجيد. الصناعات الغذائية في العراق القديم...، ص٥١، الشكل: ١٢.

٣٨ بوستغيت، نيكولاس. حضارة العراق وآثاره...، ص٤٨، الشكل: ٤٩.

٣٩ سوسة، أحمد. تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية...، ص٤٣، الشكل:١١.

٤٠ الدليمي، كريم عزيز. الزراعة في العراق القديم- عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠ – ١٥٩٥ ق.م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٦)، ص١٤٦- ١٧٠.

٤١ بارو، اندريه. بلاد آشور نينوى وبابل...، ص٢٤٠، الشكل: ٢٧٧.

٤٢ مورتكات، انطوان. الفن في العراق القديم...، ص١٥٠، اللوح ١٢٢.

٤٣ بارو، اندريه. بلاد آشور نينوى وبابل...، ص٢٤٠، الشكل: ٢٧٧.

44 Evans، J.M. "The Approaching the Divine Mesopotamian Art AT the end of the Third Millenniun B.C" Art of the First Cites, (London,2003), P.440 Fig:313.

٤٥ **لكش**: هي واحدة من أهم المدن السومرية القديمة في جنوب بلاد الرافدين تقع حالياً في محافظة ذي قار وتحديداً في منطقة الغرّاف وتعرف أيضاً باسم (تلّو). للمزيد ينظر: باقر، طه. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١، ط٢، (بغداد، ١٩٨٦)، ص٣١٣.

46 Evans، J.M. "The Approaching the Divine Mesopotamian …, P.440 Fig:313.
47 Strommenger, E. The Art of Mesopotamia, (London,1964), P.33 Fig:145.
48 Evans، J.M. "The Approaching the Divine Mesopotamian …, P.440 Fig:313.
٤٩ **حمورابي**: هو سادس ملوك سلالة بابل الأولى التي حكمت خلال العصر البابلي القديم (٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م) ويعد حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م) من أقوى وأشهر ملوك هذه السلالة إذ يعود إليه الفضل في توحيد جميع الممالك والمدن تحت سلطته فضلاً عن انجازاته في الفتوحات الخارجية لإخضاع الأقاليم المجاورة وكان من أبرز الأعمال الفنية التي جسدت شخصيته وانجازاته هي مسلته الشهيرة. للمزيد ينظر:
Sasson, J.M. "King Hammurabi of Babylon", Civilizations of the Ancient Near East, Vol:II، (London, non)، PP.906-907.
٥٠ **المسلة**: هي قطعة حجرية مستطيلة أو بيضوية الشكل أحيانا تكون ذات قمة محدبة أو متدرجة، تنقش من أحد أوجهها أو كلا الوجهين وتستعمل لتخليد انجازات الملوك وعادة تحوي على مشاهد فنية وكتابات توضح الأعمال والإنجازات التي حققها ذلك الملك. للمزيد ينظر: صاحب، زهير، والخطاط، سلمان. تاريخ الفن في بلاد وادي الرافدين، (بغداد، ١٩٨٧)، صص١٠٠-١٠١.
٥١ **سوسة**: هي واحدة من أهم المدن في بلاد عيلام والتي اتخذت كعاصمة للبلاد خلال العصر العيلامي سبب وجود أو انتقال المسلة إلى تلك المدينة فيرجح أنها سلبت أثناء الغزو العيلامي على بلاد الرافدين. للمزيد:
Bahrani, Z. The Graven Image Representation In Babylonia and Assyria, (Philadelphia, 2003), P.157, Fig:14.
52 Frankfort, H. The Art And Architecture of The Ancient Orient, (London, 1958،) Fig:65.
53 Strommenger, E. The Art of Mesopotamia…, Fig:158.
٥٤ **زمريلم/ زمري – لم**: هو رابع ملوك سلالة ماري (١٧٧٨-١٧٦١ق.م) التي حكمت في مدينة ماري، وكان هذا الملك معاصراً للملك حمورابي إلا أنه خضع لسلطته فيما بعد. للمزيد ينظر:
Daley, S. Mari and Karana two old Babvloian Cities. (London & New York, 1984), P:12.
٥٥ صاحب، زهير. الفنون البابلية ، ط١، (بغداد، ٢٠١١)، ص١٣٣، الشكل: ٢٩.
٥٦ **الألواح الجدارية**: هي صفائح من الحجر يبلغ ارتفاعها (٢ – ٣ م) أو أكثر من ذلك، كثر استعمالها عند الآشوريين إذ كانت تزين أسوار المدن وجدران المعابد والقصور كما في معبد ننورتا وقصر آشور ناصر بال حيث تم تغليف الأجزاء السفلى من جدران الغرف والقاعات. للمزيد ينظر: ميوزنسكي، يانوش. "رسوم الملائكة ذوي الأجنحة الأربعة في منحوتات عصر آشور ناصر بال الثاني"، قسم التوثيق، الهيئة العامة للآثار والتراث، (بغداد، ١٩٨٦)، ص١.
57 Strommenger, E. The Art of Mesopotamia…, P.42 Fig:202.
58 Ibid, P.42 Fig:202.
٥٩ **نمرود (كالح)**: واحدة من أهم المدن الآشورية وهي ثاني عاصمة بعد آشور شيدها الملك شلمنصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) في العصر الآشوري الوسيط واتخاذها كعاصمة له لتكون بمثابة قاعدة عسكرية تنطلق منها الجيوش الآشورية نحو الأقاليم الأخرى فضلاً عن موقعها الجغرافي الذي يتميز بكونه محصن طبيعياً فهي تحيط بها الجبال من جهتين بينما يحدها نهر دجلة من جانب أخر، هجرت بعد وفاة الملك شلمنصر الأول وأعيد بنائها من جديد خلال العصر الآشوري الحديث في زمن الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣- ٨٥٩ ق.م) لاتخاذها عاصمة جديدة للدولة الآشورية. للمزيد ينظر: ساكز، هاري. قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩)، ص١١.
60 Strommenger, E. The Art of Mesopotamia…, P.42 Fig:194.
٦١ يعد الملاك الآشوري هو أحد نماذج الكائنات المركبة التي تحدثنا عنها سلفاً والذي يؤدي وظيفة فكرية طقوسية مفادها تطهير المكان وطرد الأرواح الشريرة ومباركة الاحتفال لأجل الملك. للمزيد ينظر:
Strommenger, E. The Art of Mesopotamia…, P.42 Fig:194.
61 Ibid, P.42 Fig:194.

: Sources & Refences

١. أحمد، سهيلة مجيد. **الصناعات الغذائية في العراق القديم**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩٢).
٢. باقر، طه. **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، ج١، ط٢، (بغداد، ١٩٨٦).
٣. بارو، اندريه. **بلاد آشور نينوى وبابل**، ترجمة وتعليق: عيسى سلمان، سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٠).
٤. بصمه جي، فرج. **كنوز المتحف العراقي**، (بغداد، مؤسسة الآثار والتراث، ١٩٧٢).
٥. بوستغيت، نيكولاس. **حضارة العراق وآثاره**، ترجمة: سمير عبدالرحيم الجلبي، (بغداد،١٩٩٢).
٦. البياتي، عبدالحميد فاضل. **تاريخ الفن العراقي القديم**، (بابل، ٢٠٠٩).
٧. تي بوتس، دانيال. **حضارة العراق الأسس المادية**، ترجمة: كاظم سعد الدين، مراجعة: إسماعيل حسين حجارة، (بغداد، ٢٠٠٦).
٨. تيومينيف. " إقتصاد الدولة في سومر القديمة " **العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الإقتصادية والإجتماعية**، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٨٦).
٩. حمود، حسين ظاهر. **مكانة الأولاد في المجتمع العراقي القديم**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٩٩١).
١٠. الدباغ، تقي. " من القرية الى المدينة "، **المدينة والحياة المدنية**، ج١، (بغداد، ١٩٨٨).
١١. الدليمي، كريم عزيز. **الزراعة في العراق القديم- عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي القديم ٣٠٠٠ – ١٥٩٥ ق.م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٦).
١٢. ساكز، هاري. **قوة آشور**، ترجمة: عامر سليمان، (بغداد، ١٩٩٩).

١٣. سرتي، محمد إبراهيم. **الأنثى المقدسة وصراع الحضارات - المرأة والتاريخ منذ البدايات**، ط١، (دمشق، ٢٠٠٨).
١٤. سوسة، أحمد. **تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية**، ج١، (بغداد، ب.ت).
١٥. الشيخ، عادل عبدالله. **بدء الزراعة وأولى القرى الزراعية في العراق**، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٨٥).
١٦. صاحب، زهير. والخطاط، سلمان. **تاريخ الفن في بلاد وادي الرافدين**، (بغداد، ١٩٨٧).
١٧. ـــ. **الفنون البابلية** ، ط١، (بغداد، ٢٠١١).
١٨. ـــ. **فخاريات بلاد الرافدين – عصور قبل التاريخ**، ط١، (بغداد، ٢٠١٠).
١٩. ـــ. ونفل، حميد. **تاريخ الفن في بلاد الرافدين**، (بغداد، ب.ت).
٢٠. العاني، عماد طارق توفيق. **المستجدات السكانية والسياسية والحضارية لعصر ما بعد أور الثالثة (العصر البابلي القديم)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد كلية الآداب، قسم الآثار، ١٩٩٧).
٢١. المتولي، نوالة أحمد محمود. **مدخل في دراسة الحياة الإقتصادية لدولة أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة)**، (بغداد، ٢٠٠٧).
٢٢. عقراوي، ثلما ستيان. **المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين**، (بغداد، ١٩٧٨).
٢٣. علي، عادل هاشم. **البنية الإجتماعية في العراق القديم من عصر فجر السلالات وحتى نهاية العصر البابلي القديم**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٦).
٢٤. علي، فاضل عبد الواحد، وسليمان، عامر. **عادات وتقاليد الشعوب القديمة**، (بغداد، ١٩٧٩).
٢٥. مكاي، دروثي. **مدن العراق القديمة**، ترجمة: يوسف يعقوب سكوني، (بغداد، ١٩٩٢).
٢٦. مورتكات، انطوان. **الفن في العراق القديم**، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٧٥).
٢٧. ميوزنسكي، يانوش. "رسوم الملائكة ذوي الأجنحة الأربعة في منحوتات عصر آشور ناصر بال الثاني"، قسم التوثيق، الهيئة العامة للآثار والتراث، (بغداد، ١٩٨٦).

28. Ayoub, S. & Others. **Isin – Išan Bahriyat I Die Ergebnisse Der Ausgrabungen 1973-1974**, (München, 1977).
29. Bahrani, Z. **The Graven Image Representation In Babylonia and Assyria**,(Philadelphia, 2003).
30. Daley, S. **Mari and Karana two old Babvloian Cities. (London & New York**,1984).
31. Gadd, K. M. **From Ur to Rome**, (London, 1958).
32. Evans، J.M. "The Approaching the Divine Mesopotamian Art AT the end of the Third Millenniun B.C" **Art of the First Cites**, (London,2003).
33. Frankfort, H. **The Art And Architecture of The Ancient Orient**, (London, 1958).
34. Hrouda, B. **Der Alte Orient**, (Germany, 1991).
35. Sasson, J.M. "King Hammurabi of Babylon", **Civilizations of the Ancient Near East**, Vol:II، (London, non).
36. Strommenger, E. **The Art of Mesopotamia**, (London,1964).